



(٢٥٧) (٢٧٤)

العدد الثلاثون

العلامة التاريخية في ديوان : رحلة الولد السومري . للشاعر أجود مجبل الخفاجي

د. فراس خضير عباس القرغولي

جامعة واسط / كلية التربية الاساسية

f.abbas@uowasit.edu.iq

المستخلص:

تعد الدراسات السيميائية من الدراسات الممتعة والشيقة في تعاملها مع النص الأدبي ، لأنها تنطلق من قيمتين ، داخلية باعتبار العلامة دالا لغويا ينتمي إلى البناء اللغوي للنص ، وايضا بما تملكه العلامات من قيم دلالية خارج نصية لأن العلامات يمكنها ان تتكون وتتخلق خارج اللغة ، وهذا مدار جدل نقدي كبير .

ويمثل التاريخ تراثا مهما مليئا بحشود هائلة من الرموز والعلامات التي أصبحت داخل اللغة طاقة تفجير دلالية كبرى ، لأنها تتعاطى مدلولاتها من خلال بعدين ، احدهما عائد إلى طاقة العلامة الذاتية والآخر إلى المحمولات التاريخية التي تنتجها بوصفه علامة سيميولوجية يمكن قراءتها داخل العمل الأدبي بهذا المعطى .

تبرز قيمة العلامة التاريخية في ديوان (رحلة الولد السومري) للشاعر العراقي التسعيني أجود مجبل الخفاجي ، بشكل لافت ، بل يمكن القول إن هذه الرحلة السومرية هي رحلة مع العلامة التاريخية التي هيمنت عليها المدينة (بغداد) بصورتها الماضية التاريخية والحاضرة الجديدة . واستطاعت ان تشرح لنا بعلاماتها تفاصيل رحلة الولد السومري نفسيا وبنائيا .

الكلمات المفتاحية : العلامة \ السيميولوجية \ التاريخ \ المكان \ التراث .

The historical marker in the collection: The Journey of the Sumerian Boy. By the poet Ajwad Mujbil Al-Khafaji

Dr. Firas Khader Abbas Al-Qarghouli

University of Wasit / College of Basic Education

f.abbas@uowasit.edu.iq

Abstract



Semiotic studies are interesting and engaging in their treatment of literary texts, as they proceed from two values: internal, considering the sign as a linguistic signifier belonging to the linguistic structure of the text, and extratextual, semantic values possessed by signs, as signs can be formed and created outside of language. This is the subject of considerable critical debate

History represents an important heritage replete with vast numbers of symbols and signs that have become a major semantic explosion within language. These symbols engage with their meanings through two dimensions: one is related to the sign's intrinsic energy, and the other to the historical predicates that produce it as a semiological sign that can be read within the literary work in this way.

The value of the historical sign is strikingly evident in the collection (The Journey of the Sumerian Boy) by the ninety-year-old Iraqi poet Ajwad Mujbil al-Khafaji. Indeed, it can be said that this Sumerian journey is a journey with the historical sign dominated by the city (Baghdad) in its historical past and its new present forms. She was able to explain to us, through her signs, the details of the Sumerian boy's journey, psychologically and structurally

Key words: sign \ semiology \ history \ place \ heritage.

المقدمة :

إن دراسة العلامات في الأدب بشكل عام وفي الشعر بشكل خاص إنما يخضع لخصوصية طبيعة الأدب نفسه ، لأن العلامة سوف تفتح من ذلك المناخ الشعري الذي تتشكل في متونه وتتحول إلى علامة.

لا نريد ان نزج الدراسة في متون المحددات التاريخية والحديث عن النشأة والتصور لهذا المفهوم ذي الأبعاد المتعددة لكننا بكل تأكيد لن نستطيع أن نضع قدما من دون الإشارة إلى الدراسات اللغوية للعالم السويسري دي سويسير الذي نقل الأدب نقلة نوعية يمكن وصفها أنها نقلة نوعية من الكلاسيكية إلى الحداثة ضمن دراساته السيميولوجية ونحن نعرف أن المصطلح هذا يعني (علم العلامات) .



تعرف الدراسات السيميولوجية بأنها "العلم الذي يوضح ماهية مقومات الاشارات وماهية القواعد التي تتحكم فيها" (سوسور، ١٩، ص ٣٤)

كذلك يمكن تعريفها بأنها "الدراسة العلمية للرموز اللغوية وغير اللغوية باعتبارها ادوات اتصال" (عمر، ١٩٨٢، ص ١٤)

ولا نريد الخوض أكثر في التعريفات التي يمكن الرجوع اليها في الكثير من الدراسات المتخصصة بعلم العلامات لكننا ننوه فقط إلى أبرز ما يتعلق بالبعد الدلالي الذي تسعى الدراسة إلى استثماره أثناء قراءتها للعينة المدروسة عن الشاعر العراقي التسعيني أجود مجبل الخفاجي .

فالسيميولوجيا علم ، بمعنى أننا نشترط ابتداء رؤية تحليلية خاصة قائمة على افتراضات ذات رؤى منطقية علمية تبتعد عن ما هو تفسيري للظواهر النصية ، فالعلامات تمتلك مقومات كثيرة تتحكم بها سياقات خاصة هي المسؤولة عن إنتاج دلالاتها ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر لا يمكن ان نتجاهل أو نقصي اية فكرة تحكم علاقة العلامة باللغة ، لكون العلامة هي في الاخير تمثل بنية لسانية تشكلت داخل النسيج اللغوي واخذت دلالاتها من خلال تموضعها داخل هذا النسيج ا السياق التركيبي

فإذا تجاوزنا تصنيف بيرس الثلاثي للعلامات المتمثلة بـ (الرمز \ الإشارة \ الايقونة) (ينظر :هوكز، ١٩٨٦، ص ١٧٧-١١٩) وتوقفنا عند دراسة جارس موريس نجد انه يؤشر ثلاثة ابعاد للعلامات يمكن من خلالها النظر اليها ، وهي البعد الدلالي والبعد التركيبي والبعد التداولي (ينظر: ايكو، ٢٠٠٧، ص ٥٥-٥٦)

ويعتقد الباحث ان هذا المنظور إلى العلامة له اثره الكبير في تطور القيمة العلاماتية في العمل الأدبي القائم على التغيير المستمر حينما يتم الانتقال من سياق تركيبي إلى آخر ومن مقام إلى آخر فيتم إنتاج دلالات جديدة ومتغيرة مما يمنح العلامة دورها البنائي والتعبيري .

لقد نهضت العلامة في ديوان الشاعر أجود مجبل الخفاجي بوصفها اداة تعبير مثيرة كونها استطاعت ان تتعامل مع معطيات ذات بعد مرجعي واقعي وان كان تاريخيا وأن تشكل دلالاتها من خلال حضورها الفاعل داخل السياق الشعري .

من هنا يمكننا ان نشير إلى تلك المرجعية الواقعية التاريخية التي ارتكزت عليها المعطيات العلاماتية في دراستنا إذ أصبحت تلك المعطيات المتنوعة علامات نسقية تحمل مدلولات معاصرة تعبر عن تجربة الديوان . والطريف أن جميع تلك العلامات جاءت واقعية ، وقد أشار الدكتور علي



عزالدين الخطيب في دراسته عن الشعر العراقي الحديث للفترة الممتدة من الريادة حتى عام ٢٠٠٠ وهي المرحلة التي تضم ديوان الشاعر أجود مجبل الخفاجي إلى أن الشخصيات الواقعية التراثية على سبيل المثال بوصفها نمطا تراثيا واقعيا مثلت الحضور الأكبر في الشعر العراقي الحديث وقد استطاع الشعراء من خلالها التعبير عن تجاربهم المختلفة . (ينظر: الخطيب، ٢٠١٥، ص ٣٧) إن التراث كما يرى الشاعر والناقد الكبير أدونيس "نقطة يدور حولها الشعراء وهم يقلون قيمة بقدر ابتعادهم عن هذه النقطة" (ادونيس، ١٩٧٤، ص ٣٧)

ولذا نجد أن اقتراب لغة الشعر من التراث إنما هي مراودة جديدة ولعبا فنيا يسعى الشاعر من خلاله لإعادة تفجير طاقات لغته . ولا سيما أن هذا التعامل سيكون إحيائيا خالصا حينما تمارس اللغة دورها العلاماتي الاشاري .

إن الشاعر أجود مجبل الخفاجي من شعراء الجيل التسعيني الذي سعى إلى خلق هوية شعرية خاصة مختلفة عن الأجيال الشعرية السابقة، ولاسيما حينما تم طرح قصيدته الجديدة وقتها (قصيدة شعر) والشاعر أجود مجبل ينتمي فكرا وأسلوبا إلى هذا الجيل المتحمس للاختلاف . لذا جرت هناك الكثير من المحاكمات النقدية لقصائد هذا الجيل مع الكثير من الدراسات التي بحثت في قيمه الأسلوبية والجمالية ، بل ان هناك دراسات حاولت ان تنسبه إلى شعر ما بعد الحداثة وتحديدًا الدكتور بشري موسى صالح التي قدمت دراسة راقية جدا عن هذا الجيل بحثت فيها عن أواصر الانتماء الشكلي والروحي إلى ما بعد الحداثة في كتابها المهم (عمود ما بعد الحداثة) إذ وجدت أن هذا الجيل قد صنعت شعرية ظروفها ضاغطة أنتجت أنساقا ثقافية ولغوية واجتماعية وتاريخية مغايرة للمألوف والمعهود فكانت قوى ضاغطة على المخيلة الشعرية قادت إلى التمرد والتشطي والاختلاف بما يجعل الشعر يعيش زمن حيرته وقيده وجنونه . (صالح، ٢٠٢١، ص ١٣) فبشري موسى ترجع إبداعهم الشعري إلى هذه الأسباب غير الشعرية وأسباب أخرى وقفت عندها بنوع من التفصيل ، حتى بدوا للقارئ أنهم أكثر شعرية من الأجيال التي سبقتهم لذا نجد هناك رأي آخر وقف بالضد من ذلك فرأى (أن السابقين من الأجيال قد مروا ، ربما ، بشبهاتها من الظروف وان اختلف النوع فكانت قصيدة شعر حلما بنوا عليه امالهم لتحقيق هوية الاختلاف عن سابقيهم لكنه ظل حلما جميلا سرعان ما تحول إلى كابوس بعد ذلك لأنه تعرض للقطاف قبل النضج) (الخطيب، ٢٠٢٤، ص ٢٢١)



مع كل هذه الملاحظات والجدل حول هذه القصيدة فإنها قدمت شعرا عراقيا إبداعيا وشعراء عراقيين مبدعين بدت أسماؤهم تتنافس زعامة بعض من سبقوهم . ومنهم الشاعر أجود مجبل الخفاجي في ديوانه الأول الصادر قبل أكثر من ٢٥ عاماً لكنه ظل يحمل جينات الإبداع في لغته وصوره .

العلامة التاريخية في بنية العنوان

يمثل العنوان أبرز العتبات النصية ذات الاشتغال التأويلي السيميائي ، الذي يتكئ عليه الأدباء بعامة سواء في الروايات أو الاعمال الشعرية لتقديم مفاتيح دلالية استباقية تسعى إلى نشر كمية من الضوء على متن العمل الأدبي وليست إضاءات كلية شاملة من أجل تحفيز الفاعلية القرائية لدى المتلقي وتحقيق عنصر الترقب "ولا يمكن مقارنة العنوان مقارنة علمية موضوعية إلا بتمثل المقاربة السيميوطيقية التي تتعامل مع العناوين، على أساس أنها علامات وإشارات ورموز وإيقونات واستعارات. ومن ثم، فلا بد من دراسة هذه العناوين تحليلاً وتأويلاً من خلال ثلاثة مستويات منهجية سيميوطيقية، ويمكن حصرها في: البنية، والدلالة، والوظيفة" (حمداوي، ٢٠١٦، ص ٤١)

وبذلك يصبح العنوان بوصفه الخطوة الأولى للنص الأدبي علامة سيميولوجية تمثل قراءة كلية للعمل الأدبي .

ويتحدث جميل حمداوي عن أنواع العناوين التي تشغل سيميولوجيا وفق نظام العلامات ، مرشحاً إحدى تلك الأنماط ما يتعلق بالعنوان الخارجي الذي يؤدي " إلى جانب العنوان البصري، عدة وظائف سيميائية، كوظيفة التعيين والتسمية، ووظيفة الوصف والشرح، ووظيفة الإغراء والإغواء، والوظيفة الإشهارية، بجذب فضول المتلقي لشراء العمل، والإقبال عليه قراءة وإنتاجاً" (حمداوي، ٢٠١٦، ص ٤٦)

فضلاً عن ذلك فإنه يستطيع العبث بالمتلقي حينما يكون عنواناً مراوفاً ومخاتلاً ، بل يستطيع أكثر من ذلك حينما يثير فضوله وترقبه فيقوم بتشكيل أكثر من افق انتظار وتوقع .

من ذلك يبدو عنوان الشاعر أجود مجبل الخفاجي (رحلة الولد السومري) عنواناً مراوفاً شحنة الشاعر بطاقة تأويلية وإن كانت تتحرك على ما هو تاريخي من خلال العلامة التاريخية الأولى (السومري) والتي تحيل إلى زمن الولادة الحضارية الأولى للعراق عبر أرض سومر ، وهذا منحى عاماً ، إلا أن الولد السومري ما هو سوى معادل مكاني انتسابي لابن مدينة سومر العريقة التاريخية \ المعاصرة (ذي قار) . ليكون الولد السومري معادلاً موضوعياً أو قناعاً لشخصية الذات الشاعرة في رحلتها الشعرية .



اما المبتدأ (رحلة) التي جاءت بدون ال التعريف سوف تتحول بالمكان إلى أمكنة وبالزمن إلى فضاء واسع من الأزمنة والأحداث والتاريخ لتمنح المتلقي دلالات جديدة ومتعددة مثل (الشوق \ الحنين \ الغربة \ التيه \ الضياع \ الامنيات الذابلة ...) وهنا سيكون العنوان بمثابة تأشير السيرة الذاتية لـ (الولد السومري) في ظل أجواء الحصار والغربة والحنين للوطن .

العلامات التاريخية في رحلة الولد السومري .

يضم ديوان رحلة الولد السومري الكثير من العلامات التاريخية التي أدت ادواراً بنائية مهمة نهضت بمهمة الأداء والتعبير في القصيدة ، فأصبحت علامات سيميائية استطاعت أن تتحدث بإيحاء صامت عن ذلك الهاجس الداخلي للذات وهي تخوض غمار رحلتها التاريخية ضمن حدود جغرافية الاغتراب .

إن هذه العلامات السيميائية نجدها تنقسم في الديوان على قسمين ، منها ما ارتبط بالنص القرآني وتجاربه التي استدعاها أجود ليحملها دلالاته الخاصة وتكون علامة عليها . والقسم الآخر ارتبط بعلامات تاريخية متنوعة المصادر والمنابع من التاريخ بشكل عام والتاريخ العراقي البغدادي بشكل خاص .

أولاً : الإشارات القرآنية .

يعد القرآن الكريم، بلا شك، مصدراً مهماً من مصادر الشعراء ، ليس من خلال تنوع تجاربه وثنائها، بل من خلال الابعاد الفنية والبلاغية العالية التي تتمتع بها لغته وهذا أمر لا طائل من الخوض فيه.

التوظيف العكسي للعلامة القرآنية .

يمثل التوظيف العكسي واحداً من أبرز الوسائل لتحقيق الشعرية في النص الأدبي ، فهو يعني "التوظيف المقلوب أو العكسي لمعنى النص التراثي الذي تستدعيه القصيدة فالشاعر يحاول ان يقلب الصورة الايجابية التي يقدمها النص التراثي إلى صورة سلبية نقيضة تماماً لقصد شعري نفسي هو المسؤول عن هذا التحول وهذا نجده ينطبق على جميع انماط التراث كالتراث الديني القرآني والروايات والابحار الدينية وايضا الأدب التراثي وحتى الاساطير والفلكلور ودلالاتها الأنسانية المتنوعة" (الخطيب، ٢٠١٠، ص ١١٩٧) فالعلامات القرآنية التي استدعاها أجود من القرآن اشتغلت لتشكيل دلالات عكسية هي بالضد من دلالاتها الأصلية ليكشف من خلالها عن أزمة الذات في رحلتها السومرية .

هدد سليمان ع



لقد استدعى أجود مجبل الخفاجي البعد الإشاري للهدهد القرآني الذي صاحب أحداث قصة النبي سليمان ع في القرآن الكريم و في قصيدتين ، موظفا دلالاته توظيفا عكسيا . فالهدهد قرآنيا يمثل علامة نصية للخبر اليقين الصادق في قوله تعالى "وَتَقَدَّ الطَّيْرُ فَقَالَ مَالِي لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ * لِأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لِإِذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ * " (النمل، آية ٢٠-٢١)

ثم بعد ذلك يتلو الهدهد قصة ملكة سبأ وعرشها وأحوالهم وتفاصيل أخرى تتعلق بهذا الحدث القرآني.

إن هذه المعلومات التي يقدمها الخطاب القرآني هي التي كونت لنا البعد الدلالي للهدهد في القرآن الكريم بوصفه حاملاً للخبر أو ناقله ولكن بيقينية مطلقة .

في القصيدة الأولى التي استدعى فيها أجود الهدهد وهي قصيدة (دروس في التلعثم) نقرأ :

"إنني أهديك شكا واثقا ،

أو هدهدا يأتي بلا نبأ يقين

حين يدخر العراء

عويله " . (الخفاجي، ٢٠٠٠، ص ١٧)

فالهدهد ، قرآنياً يمثل علامة نصية سيميائية عن اليقين (بنبأ يقين) فهو علامة مطلقة لليقين وهي الدلالة العامة التي يسعى إليها مجبل الخفاجي في هذا الاستدعاء ليصور من خلال نقضها فداحة تجربته الشعرية . فالعلامة هنا تتعارض دلاليا بين حضورها القرآني وبين حضورها في النص الشعري ، فهدهد سليمان (عليه السلام) استطاع أن يحقق بنية نصية يقينية تامة ومطلقة ، بالمقابل ، فقد كان الشك يمثل غياباً قطعياً تاماً في النص الشعري ؛ فبدأ التوظيف عكسياً ، إذ قام النص بعملية (تغيب) لليقين بالمقابل كان حضور الشك بارزاً فيها ومكثفاً ، وهذا التفاعل العكسي تكشف عنه اللغة الشعرية المراوغة بهذا الشكل عبر المعادلة اللغوية : (معادلة التناقض والالتقاء) الآتية :

معادلة التناقض : أهديك : شكا = بلا نبأ يقين

أو : هدهدا = واثقا = معادلة التناقض

كما نجد الدور البنائي التي تؤديه (أو) المساواة التي وازنت بين دلالات الشطرين ، فكثفت من حضور الشك ضمن أجواء النص الشعري الذي قام على اليقين القرآني وهو ما يكشف عن استراتيجية التعارض والتناقض (التوظيف العكسي) التي انتهجتها نصوص الرحلة السومرية مع



النص التراثي . وهذا ما بدا في العلامة السيميولوجية المركزية (الهدهد) الذي ارتدى دلالة جديدة بوصفه علامة على الشك واللا يقين مما يعكس البعد الداخلي للذات داخل القصيدة ضمن أزمة الاغتراب التي تعانيتها .

في قصيدته الأخرى (مرثية الجهات الأربعة) يطالعنا هدهد سليمان النبي (عليه السلام) مرة أخرى ، فإذا كانت صورة (اليقين) التي انتجتها العلامة النصية (الهدهد) في النص الشعري السابق ، فإننا في هذا النص سنقف على غياب ناقل الخبر نفسه (الهدهد) عن أجواء القصيدة :

"لم يأت هدهدنا الفقيد و لا مشت في النخل ذات ظهيرة أنباء

فإذا بدايات الشروع تلبست وإذا نهايات الوصول عراء" . (الخفاجي، ٢٠٠٠، ص ١٠٧)

فالنص يضع علاقة قرينية بين (النبأ \ الهدهد) فنجد ان الاداتين (لم \ لا) لم تكتفيا بتغيب (النبأ) اليقين عن القصيدة ، بل غيبتا حامل النبأ ايضا ، واعني (الهدهد) :

لم يأت هدهدنا — (لا مشت) — < انباء

ليعلن النص في خاتمته عن الخيبة من خلال الوصول إلى (اللا مكان) أي وصول الذات إلى اللاجدوى والضياع .

نقطة الانطلاق : بدايات الشروع — < تلبس = ضياع

نقطة الوصول : نهايات الوصول — < عراء = ضياع

وبذلك تكون البداية والنهاية واحدة لتلتف على الذات ليدور في حلقة الاغتراب والضياع والنتية . فنجد أن أجود مجبل الخفاجي يتلاعب في العلامات التراثية ودلالاتها بطريقة يكيفها مع دلالات تجربته الخاصة لينتج لنا علامة جديدة تنزاح تماما عن صورتها المرجعية القرآنية حسب آلية التوظيف العكسي.

وفي انموذج آخر من التوظيف القرآني وتشكيل العلامة النصية في شعر أجود مجبل الخفاجي ما نقرأه في قصيدته التي عنوانها (لإيلافنا رحلة الشتات والحيف) التي يصبح العنوان العتبة التي تدخل منها القصيدة أجواء النص القرآني من خلال استدعاء الآية المباركة : قوله تعالى : "لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ * إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ *" (قريش، ايه ١-٤) فالقصيدة تمارس أسلوبها المعتاد في تشكيل العلامات النصية ذات الدلالات المعارضة مع النص القرآني ، وهذه المرة يبدو التحول و التعارض على مستوى اللفظ \



الدلالة ضمن بنية العنوان الذي سيكون أساس البناء الموضوعاتي للنص الشعري والمسؤول عن إنتاج دلالة العلامة النصية :

الشتاء (القرآني) — الشتات (الشعري)

الصيف (القرآني) — الحيف (الشعري)

كما نجد أن للحوار دوراً مهماً في عملية إنتاج الدلالة الكلية في القصيدة وتحقيق وظيفتها الشعرية ، فالقصيدة تنقسم طباعياً على ثلاثة مقاطع ، مثل الأول والثاني رحلة الذات في محيط عالمها وتحديد موقعها فيه ولكن بصورة ايحائية رمزية وفقاً لأسلوب القناع مع تمثيل اشارات ورموز تاريخية اسلامية (علامات تراثية سيميولوجية) فكانت أجواء النص مليئة بغبار الصحراء واخبارها ، لتمثل هذه الأجواء ارضاً خصبة لهذا التفاعل اللساني بين العلامة والنص التراثي :

"شغب في الهديل في قامة الصدح و وحلم بساكنيه استخفا

في عيون تشير عبر الشراسا ت إلى فتية تؤثث كهفا" (الخفاجي، ٢٠٠٠، ص ٦٩)

فالعلامة التراثية تتشكل من خلال التناص مع الآية القرآنية المباركة في سورة الكهف : " إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا " (الكهف، ايه ١٠) . فإذا كان الكهف في الآية القرآنية يمثل مكاناً آمناً من خلال احتفاء هؤلاء الفتية فيه ، فإن النص الشعري يخلق دلالة معارضة لصورة الأمان من خلال حالة الوشاية التي مارستها العيون الشرسة لافتضاح أمرهم ، فتحوّلت العبارة إلى علامة عن الأمان المفقود الذي تفقده الذات . فهذه العلامة النصية جاءت لتبرز موقف الذات في محيطها تماشياً مع الأجواء القديمة التي يتمثلها هذا المقطع من القصيدة والمقطع الآخر .

وتستمر أجواء التراث والماضي فتنتج العلامات النصية وفقاً لذلك : نقرأ :

"واستفاقت (قريش) ذات هباء لترى هجسا تصاعد سقفا

واستدار اليتيم نحو ابيه لم يجد غير دمعة تتخفى

كنت فيها محمد البدء ما رف ربيع الا وعطرك رفا" ... (الخفاجي، ٢٠٠٠، ص ٦٩)

فالعلامات التاريخية هنا (قريش | اليتيم | محمد) وقد قام النص بجمعها فبدأ التضاد بينها بشكل أكثر وضوحاً : (قريش | محمد) فمحمد هنا يصبح علامة للحزن فلم يجد غير الدمعة كرد فعل لما لاقاه من قومه وخذلانهم له فكان شعوره بالاغتراب جراء ذلك ليكون هذا الشعور معادلاً لشعور الذات بالاغتراب عن وطنها .



في المقطع التالي لاتزال الأجواء القرشية تملأ فضاءات القصيدة :

"مكة استقبلي فتاك فقد لا ب حنينا وأوراق الجمر عطفاً

اينعت تحته الدروب وصولاً والمزامير قد تهجته عزفاً

مكة استغفري خطاه وضمي ه فذا الحب ملء عينيه شفا" ... (الخفاجي، ٢٠٠٠، ص ٧١)

فما تزال رموز الصحراء ومكة وقريش تمثل علامات تاريخية تكشف عن أزمة الذات واغترابها بوصف هذه العلامات معادلات موضوعية لتلك المشاعر الذاتية التي ترتدي أقنعتها للتعبير عن طغيان حالة الشوق :

مكة \ الفتى ← الوطن \ الذات

فالشوق إلى مكة يصبح معادلاً موضوعياً لحجم الشوق إلى الوطن .

في المقطع الثالث يغادر النص أجواء الصحراء و هواجس القرشيين ومكة وكأن لغته الشعرية جاءت مفسرة لرموز المقطعين السابقين حتى امتلأت تراكيبه بهواء المدنية لينته النص بفشل هذه الرحلة التي حملت بالخسارات :

"هذه وحشتي وهذي بقايا ي مشت فوقها الخسارات زحفها" . (الخفاجي، ٢٠٠٠، ص ٧٣)

فالمقطع يفك جدلية استدعاء العلامات التاريخية القرآنية الخاصة بالإيلاف وإعطاء تفسير لعملية التحول اللفظي \ الدلالي في بنية العنوان لتكون خاتمة للقصيدة :

رحلة العمر (ياقریش) فصول مرة لم تكن شتاء وصيفا . المكان نفسه

ففي نفي رحلة الشتاء والصيف يتأكد لنا فشل الرحلة وتؤكد بالوقت نفسه خاتمة القصيدة دلالات التحول اللفظي \ الدلالي في بنية العنوان ، وهنا أيضا جاءت دلالة النص الشعري معارضة لدلالات النص القرآني ، ويمكن تصوير حالتي التعارض بين النص القرآني وبين النص الشعري بالمخطط الآتي :

النص الشعري ————— النص القرآني

رحلة العمر (الذات) رحلة الإيلاف

فصول مرة (سلب) امن + إطعام (إيجاب)

شتات + حيف (تفرقة = سلب) شتاء + صيف (اكتمال \ إيجاب) .



وفي قصيدة (بغداد) التي يعيد فيها المكان إنتاج الدلالات وتغيير الخارطة النفسية الداخلية للذات ، بل يعيد إنتاج اللغة التراثية بصورة جديدة لكنها هذه المرة تتساق مع تجربتها التراثية التي انتجها النص القرآني في تجربة السيدة مريم ع فلا نجد تقاطعا معها بل تعضيدا ، ولكن بشكل آخر :

"هزي اليك بأي سوسنة تتفتح الأزهار في كفني" . (الخفاجي، ٢٠٠٠، ص٤٧)

لا يخفى على قارئ النص الشعري استدعائه للصورة القرآنية من سورة مريم " وَهَـزِي إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا خَمِيًّا " (مريم، آيه ٢٥) فنجد فعل الأمر هنا (هزي) هو من احتفظ بالنقل الدلالي للآية المباركة والصورة القرآنية فيها فتحوّل إلى علامة على التجربة كلها . منطقيا فان زهرة السوسن لا تحتاج إلى كل هذه القوة الحاضرة في الفعل (هزي) لأجل تحريكها ، فإذا كانت الغاية التمثيل للصورة القرآنية فان القصيدة تحكم على نفسها بالفشل الاكيد . الا أن النص الشعري كان يبحث عن فعل يمتلك الإعجاز والقدرة الفائقة (المجازية) إن جاز لنا وصفها بذلك ، تخرق قوانين الطبيعة لإعادة خلق وإعادة حياة المتمثلة لا بتحقيق عملية تفتح الأزهار ، بل تفتحها داخل الموت (الكفن) بمعنى إعادة الحياة مرة أخرى . وهذه مفارقة شعرية فاعلة انتجتها العلامة اللغوية المتمثلة بالفعل (هزي) لتكون هذه الصورة العلاماتية معادلا شعوريا للذات نحو الآخر (بغداد) . فالنص القرآني اتكأ على الفعل الإعجازي المتمثل والمرتبط بالفعل هز جذع النخلة من قبل السيدة مريم ع ليقوم على إعجازه تجربته المعاصرة المتمثلة بالاغتراب عن الوطن .:

النص القرآني : هزي اليك بجذع النخلة - تساقط عليك رطبا جنيا (اثمار) = حياة

النص الشعري : هزي اليك بأي سوسنة - تتفتح الازهار في كفني (اثمار) = حياة .

فصورة تفتح الأزهار بما تحمله من مفارقة تدل على الولادة الجديدة وتفتح الأمل بالعودة إلى الوطن عبر صورته المركزية | بغداد .

يستمر أجود مجبل باستدعاء العلامات التراثية من النص القرآني المبارك ، وهذه المرة نجده يقوم باستدعاء عبارة قرآنية تامة ؛ نقرأ ذلك في قصيدته التي اسمها ، (اليها) :

"فبنا من الشوق الكتيم دفاتر وبنفسج نرف النهار ذبولا

والعمر يرحد كالنهار حبيبي فمتى نللم عصفنا المأكولا "

(الخفاجي، ٢٠٠٠، ص١٠٧) فالنص نجده يستدعي عبارة قرآنية كاملة وإن قام بتحوير بعض منها حسب متطلبات الوزن والنسيج التركيبي لبنائه اللغوية ، (نللم عصفنا المأكولا) وهي مأخوذة من قوله



تعالى من سورة الفيل ((فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ)) الآية ٥. فالعبارة كلها تصبح علامة سيميولوجية ترتبط بدلالة النص الشعري الجديد ، فإذا كانت الآية المباركة تعبر عن صورة تشتيت الكافرين وتقريقتهم والقضاء عليهم بعد أن رماهم الله بحجارة من سجيل عن طريق طير الأبابيل فاصبحوا (كعصف مأكول) التي تمثل الصورة النهائية والحاسمة لمصير هؤلاء الكافرين ، إلا أن النص الشعري يبدأ تجربته من محاولة البناء وإعادة صياغة الواقع ولملمته من جديد بعد حالة الشتات بين الذات والآخر وهو ما كشف عنه الاستفهام (متى) الذي جاء بوصفه رد فعل لحركة الزمن المسرعة بالعمر نحو الزوال ، لتكون الصورة القرآنية داخل النص الشعري بتشكيلها الجديد علامة على تلك التجربة وإحياء للبدء ببناء العلاقة من جديد .

العلامات التاريخية في قصيدة : (من أوراق حنين البغدادي)

سنتناول في هذا المبحث العلامات التاريخية التي استدعاها أجود مجبل الخفاجي في ديوان رحلة الولد السومري من غير العلامات القرآنية ، إذ يمكن القول إن ديوان الرحلة هذا تقوم بنيته الشعرية على أساس البنية التاريخية التي تتكون منها لغته الشعرية ، فهو مرتكز على المرجعيات التاريخية المتعددة والمتلونة التي وظفها أجود مجبل الخفاجي فيه لتقديم تجربته الذاتية الخاصة التي تنطلق في تعبيرها عن واقعها الآني من رؤية تراثية تجعل من التراث العراقي البغدادي طاقة تعبيرية عن المشاعر الجوانية للذات . وسنحاول أن نأخذ قصيدة واحدة طويلة هي التي جاءت في هذا الديوان تحمل الكثير من رموز وعلامات التراث الفلكلوري البغدادي العباسي والبغدادي الحديث ؛ وهي قصيدة (من أوراق حنين البغدادي) لتكون مادة التحليل النقدي في هذا المبحث ، والسبب كما نراه هو ارتكاز هذه القصيدة من بدايتها وتحديد عناونها وصولاً حتى خاتمتها ارتكزت على التاريخ ورموزه وعلاماته وتحديد التاريخ البغدادي الذي يتحول إلى علامة عاطفية تستقطب الذات .

فقد شملت القصيدة علامات مختلفة جاءت على شكل أزمنة وأمكنة وشخصيات مختلفة وأيضاً اشتملت على فنون متنوعة كالأغنيات والنصب والتماثيل وغير ذلك . وقد قدمها أجود مجبل الخفاجي بطريقة العرض السيمي تكنيك (flash pack) الذي يعني استرجاع صور الماضي بطريقة غير منتظمة ومرتبطة أو متسلسلة ومنطقية فيكون الاسترجاع عشوائياً بشكل انثيال صوري .



من مزايا هذا النص أيضا أن العلامات فيه هيمنت على بنيته التعبيرية فكانت تمثل مستوى التبئير فيه . والقصيدة بعد كل هذا جاءت تمثل محاولة التعبير والكشف عن أزمة الذات ضمن محيط عالمها الذي تعيش فيه حالة الاغتراب والشوق إلى الوطن \ المكان .

يتحرك النص في القصيدة على وفق ثنائية متضادة (الغربة \ الحنين) حيث يمثل الاغتراب المكاني (الفعل) بينما يمثل الحنين حالة رد الفعل لها . فمنذ اللحظة الأولى لدخول الذات القصيدة تقوم بارتداء قناع إحدى الشخصيات العباسية البغدادية الشهيرة وهي شخصية (حنين البغدادي) وقصة خفيه ، لتفتح السرد من خلال ذلك على أزمة الذات وتقدمها من خلال القناع التراثي . إذ يكون حنين هنا علامة تراثية على إحدى مواقف الذات .

تضعنا العلامات التراثية في القصيدة في زمنين اثنين ، الزمن الماضي الذي ارتبط بالمكان الذي ارتكز على المدينة (بغداد) التي تمثل صورة مصغرة للوطن ، وهو على نوعين: الماضي البعيد الذي تمثل في صورة بغداد العصر العباسي ، وقد جاءت علاماتها بالشكل الآتي :

الزمن : الماضي البعيد – المكان : بغداد العباسية .

العلامات التاريخية .

١ . تجربة حنين البغدادي وخفيه .

٢ . تجربة ابن زريق من خلال بيته الأشهر :

استودع الله في بغداد لي قمرا بالكرخ في فلك الازرار مطلعاه

٣ . ابن الرومي وبيته الشهير الذي يصف فيه حنينه لوطنه :

لي وطن آليت الا

٤ . شخصية أبي دلالة .

٥ . شخصية البهلول ومواعظه .

٦ . أبو نواس وتجربته مع جنان .

٧ . إسحاق الموصلي وزرياب .

٨ . بيت علي بن الجهم الشهير الذي فيه ملامح بغداد الرصافة العباسية :

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري .

٩ . حكايات ألف ليلة وليلة وحضور بغداد فيها .

١٠ . قصة استشهاد الامام الكاظم ع في سجن السندي .



١١. شخصية بشر الحافي .

١٢. شخصية الشاعر الشريف الرضي العلوي العباسي .

١٣. شخصية الحلاج .

١٤. العودة في آخر النص إلى شخصية حنين وخفيه والمثل الشهير .

ما يجمع هذه العلامات التاريخية هو أنها تصدر عن مكان واحد هو (بغداد) العباسية التي مثلت المحور البنيوي فيها ، فقد استطاعت أن تحول المكان التراثي إلى طاقة شعورية كبيرة انفجرت على شكل هذا التنوع الكبير في صور التراث .

نجد أن أجود مجبل الخفاجي قد قدم هذا الشريط الصوري لتاريخ بغداد العباسية عبر أسلوب سيمي هو تقنية (flash pack) ، التي نقلت صوراً وأحداثاً واستدعت شخصيات وأماكن كلها متفرقة ولكن يجمعها المكان وهو بغداد العباسية ليكون (الحنين) هو المحرك لإنتاجها لتصبح هذه العلامات التراثية معادلاً موضوعياً عن لهذا الحنين الطاغي إلى الوطن .

ان أجود مجبل استطاع أن يشكل لنا صورة علاماتيّة كبرى من خلال لملة جميع هذه الصور الجزئية المتفرقة ليحولها إلى علامة كبرى لتكون القصيدة فعلاً استعارة كبرى .

ضمن بنية الزمن (الماضي البعيد) نجد ان القصيدة تبدأ عملية تشكيل علاماتها من خلال افتتاح السرد بقصة حنين البغدادي ، ثم تعود إلى الشخصية ذاتها في خاتمة التجربة العباسية البغدادية ، لنكون مع حنين مرة أخرى وكأننا إزاء بناء دائري للقصيدة ، يبدأ من نقطة محددة وينتهي بها ، في مقدمتها نقراً :

"حنين ما عاد إلى البيت ،

وخفاه معلقان بالمزاد" . (الخفاجي، ٢٠٠٠، ص ٧٧)

لتختتم مع شخصية حنين ذاتها التي يسلط النص عليها الضوء وقد ضاعت بين الزمان والمكان وفقدت هويتها بسبب البعد والاغتراب :

"كم ابتعدنا عن هوى بغداد

وكم تناءت الغصون

تحت غيمة من التوعلك المديد

كنا نسأل الشهور عن حنين الفقيد

إن كان إلى بستانه عاد" . (الخفاجي، ٢٠٠٠، ص ٨١)



فالسياقات الشعرية التي تشكلها القصيدة تضع شخصية حنين البغدادي في إطار يتخطى حاجز الزمان والمكان لتصبح شخصية عامة ترمز إلى فقدان الهوية .
النمط الآخر من الزمن الذي تعرضه القصيدة هو الزمن الماضي القريب (بغداد الحاضر) وكأنني بالقصيدة تحاول أن تمد حبل الوصل إلى الشوق من بغداد الماضي إلى بغداد الحاضر من دون انقطاع لأن بغداد بنظر الشاعر هي بغداد في كل زمان ومكان :
الزمن : الماضي القريب — المكان : بغداد الحاضر .

العلامات التاريخية ، الجزئية للمكان \ بغداد ، التي تتحول إلى علامة كبرى أيضا مثلها مثل العلامات التراثية القديمة :

أولا : العلامات المكانية

- ١ . ساحة التحرير : أشهر ساحة في بغداد .
- ٢ . باب الشيخ : منطقة شعبية عريقة في بغداد .
- ٣ . ساحة الميدان : من أشهر ساحات بغداد الشعبية .
- ٤ . شارع الرشيد : أشهر الشوارع البغدادية المعاصرة الذي يمثل بعدا ثقافيا وسياسيا واجتماعيا مهما في تاريخ بغداد الجديد .
- ٥ . ساعة القشلة : من أشهر المعالم البغدادية التراثية .
- ٦ . تمثال الرصافي : من أشهر التماثيل في بغداد .
- ثانيا : علامات فنية وأدبية متنوعة تنتمي لبغداد .
- ١ . ديوان قصائد عارية للشاعر حسين مردان .
- ٢ . ديوان اباريق مهشمة للشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي .
- ٣ . أغنية نخل السماء : من أشهر الاغاني الشعبية التراثية العراقية .
- ٤ . أغنية قطار الليل : أغنية عراقية شعبية تراثية شهيرة .
- ٥ . قصيدة غريب على الخليج للسياب : من أشهر قصائد الشاعر العراقي الكبير بدر شاعر السياب
- ٦ . شخصيتا اقبال ووفيق : من أشهر رموز السياب الشعرية النسوية .
- شخصية عائشة : أشهر الشخصيات النسوية في شعر البياتي .
- ٧ . شخصية حسين مردان : من أشهر الشعراء العراقيين .
- ٨ . شخصية الشاعر الحصري : شاعر عراقي شهير



٩ . شخصية الجواهري : الشاعر العراقي الأكبر والأشهر .

فجميع هذه العلامات التراثية البغدادية التي تنتمي إلى الزمن الحديث لبغداد تمثل باجتماعها علامة كبرى هي (بغداد) الوطن ، فبغداد هي محور تلك العلامات الجزئية المتعددة والتي مكنت من تحول تحول كل شخصية وكل لون ادبي إلى مكان هو بغداد ، العراق فالشاعر كأنما بدا يتجهى اسم الوطن في هذه الالفاظ والكلمات البغدادية العراقية الخالصة . فالعلامات هنا أصبحت علامة على الحنين الطاغي بوصفه رد فعل لإحساس الذات بالاغتراب والنأي عن بغداد .

في ختام الدراسة التي استغرقت في الحديث بشكل كبير في تفاصيل العلامات البغدادية العراقية التي استدعتها قصائد الديوان . نتساءل : هل استطاعت العلامات النصية السيميولوجية التي أنتجتها السياقات الشعرية في لغة القصيدة ان تحقق النجاح النفسي للذات ضمن دائرة الاغتراب ؟ يمكن أن نجيب على هذا السؤال من خلال اللجوء إلى بنية القصيدة من خلال رصد التغيير الدلالي بين مقدمة القصيدة وخاتمتها :

القصيدة افتتحت بتكرار عبارة (كم ابتعدنا) ثلاث مرات كاشفة عن لوعة بعد الذات عن الوطن ، المكان :

"كم ابتعدنا عن هوى بغداد

كم ابتعدنا عن هوى بغداد

كم ابتعدنا عن اناقة المياه" . (الخفاجي، ٢٠٠٠، ص٧٦)

أما خاتمة القصيدة ، وبعد تلك الرحلة البانورامية عبر الأزمنة والشخصيات والأماكن والأحداث البغدادية التراثية التي قدمتها لنا العلامات التراثية نكون مع دلالات جديدة يتغير نسق التكرار فيها :

"كم اقتربنا من هوى بغداد

كم اقتربنا من هوى بغداد" . (الخفاجي، ٢٠٠٠، ص٨٩)

هذا يعني أن العلامات التاريخية التي استدعتها القصيدة استطاعت أن تكون حلاً نفسياً موفقاً للذات ضمن محيط أزمته المعاشة في ظل دائرة الاغتراب والحنين والشوق إلى المكان ، الوطن .

الخاتمة

يمكن القول في ختام الدراسة إن انفتاح النص على نصوص خارجية عنه من خلال تشكيل العلامات التراثية المتعددة كان استراتيجية واعية أنتجتها ذاكرة القصيدة الشعرية والثقافية استطاعت أن تلبى حاجة الكتابة الشعرية الراقية شكلاً ومضموناً ، لأن جميع ذلك كان يصدر من صميم أزمة



الذات الشاعرة ، كما أن النصوص بعلاقتها أكدت نجاح اختيار عنوان المجموعة الشعرية (رحلة الولد السومري) التي جعلت هذه الرحلة تتخذ شكلا بانوراميا طافت به الذات ازمنا وامكنة متعددة حتى بدت رحلة كونية عامة وشاملة للأنسانية المعذبة بالحنين والشوق إلى الوطن . في كل مكان وزمان . كما ان هناك ميزة كشفتها العلامات التاريخية وهي حضور السمة (العراقية) الخاصة والنفس العراقي البغدادي الخالص الذي لا يمكن شم ريحه إلى في ديوان شاعر عراقي ، فكانت سمة العراقية من خلال بغداد تامة الحضور في رحلة الولد السومري .

المصادر

القرآن الكريم

١. ادونيس، الثابت والمتحول، دار العودة، بيروت، ١٩٧٤.
٢. ايكو، امبرتو، العلامة تحليل المفهوم وتاريخه، ترجمة: سعيد بنكراد، مراجعة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط١، ٢٠٠٧ .
٣. حمدأوي، جميل، شعرية النص الموازي عتبات النص الأدبي، ط٢، ٢٠١٦ .
٤. الخطيب، علي عز الدين، بنية قصيدة الشخصية في الشعر العراقي الحديث، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٥ .
٥. الخطيب، علي عز الدين، شعرية التوظيف العكسي للمعنى التراثي في القصيدة العراقية الحديثة، مجلة المؤتمر العلمي الرابع، كلية التربية، جامعة واسط، ٢٠١٠ .
٦. الخطيب، علي عز الدين، منازل المعرفة خطاب ما بعد الحداثة في نقد بشرى موسى صالح، دار عدنان، ط١، ٢٠٢٤ .
٧. الخفاجي، أجود مجبل، رحلة الولد السومري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا، ٢٠٠٠.
٨. دي سوسور، فردينان، علم اللغة العام، ترجمة: ديويثيل يوسف، مراجعة: مالك المطليبي، ٢٠٠٩ .
٩. صالح، بشرى موسى، عمود ما بعد الحداثة النص الكاشف عن شعر التسعينات العراقي، دار احوار العراق، ط١، ٢٠٢١ .
١٠. عمر، احمد مختار، علم الدلالة، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٩٨٢ .
١١. هوكز، ترنس، البنيوية وعلم الإشارة، ترجمة: مجيد الماشطة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦ .

Sources

The Holy Qur'an

12. Adonis, The Constant and the Changing, Dar Al-Awda, Beirut, 1974.
13. Eco, Umberto, The Sign: Conceptual Analysis and History, translated by Saeed Benkrad, reviewed by Saeed Al-Ghanimi, Arab Cultural Center, Morocco, 1st ed., 2007.
14. Hamdawi, Jamil, The Poetics of the Parallel Text: Thresholds of the Literary Text, 2nd ed., 2016.



15. Al-Khatib, Ali Ezzedine, The Structure of the Personal Poem in Modern Iraqi Poetry, Arab Scientific Publishers, Beirut, 2015.
16. Al-Khatib, Ali Ezzedine, The Poetics of the Reverse Employment of Heritage Meaning in Modern Iraqi Poetry, Journal of the Fourth Scientific Conference, College of Education, University of Wasit, 2010.
17. Al-Khatib, Ali Ezzedine, The Mansions of Knowledge: Postmodern Discourse in the Criticism of Bushra Musa Saleh, Dar Adnan, 1st ed., 2024.
18. Al-Khafaji, Ajwad Mujbil, The Journey of the Sumerian Boy, Arab Writers Union Publications, Syria, 2000.
19. De Saussure, Ferdinand, General Linguistics, translated by Dr. Yoel Youssef, reviewed by Malik Al-Muttalibi, 2009.
20. Saleh, Bushra Musa, The Postmodern Pillar: The Revealing Text of Iraqi Poetry of the 1990s, Ahwar Al-Iraq Publishing House, 1st ed., 2021.
21. •Omar, Ahmed Mukhtar, Semantics, Dar Al-Uruba Library for Publishing and Distribution, Kuwait, 1st ed., 1982.
22. Hookes, Terence, Structuralism and Semiotics, translated by Majeed Al-Mashta, General Cultural Affairs House, Baghdad, 1986.